

المدخلات النصية في العملية التعليمية التعلمية

بوعمراني نسرين

طالبة دكتوراه المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

| | | |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|
| تاريخ النشر: 2018/09/15 | تاريخ القبول: 2018/10/06 | تاريخ الإرسال: 2018/06/18 |
|-------------------------|--------------------------|---------------------------|

الملخص:

يمكن الجزم حاليا أن النقلة إلى النص في الدراسات اللغوية تعتبر ثورة في حد ذاته، كما أنها مرتكز يدعم مجالات أخرى عديدة، إن القدرة على تفعيل هذه الفكرة ونشرها في ميادين أخرى يعتبر استثمارا حقيقيا لتحسين آلياتها الإجرائية وتطويرها باستمرار. ولعل أكثر هذه الميادين حاجة للتطوير المستمر؛ التعليم الذي يتخبط في مشكلات وصعوبات تؤثر على فاعليته. لكن هل تعريض التعليم لمدخلات نصية يسهم في تذليل بعض من الصعوبات التي تعترضه، ويحقق مخرجات تعليمية أفضل تشجع على تبني فكر لساني نصي تعليمي؟

الكلمات المفتاحية: التعليم، التعليمية، علم النص، النصية.

Summary

Compensation between textual linguistic and didactic

We actually can confirm that the transition to the text in linguistic studies is considered as a revolution in addition to that it is the basis of many other fields.

The ability to concretise this idea and spreading it in other fields is a real investment to actualise its mechanism and ensure its development. And may be the chief field that needs that continuous development is teaching which suffers from many problems and difficulties that affects its

effectiveness, but whether exposing teaching to inner text contributes in easing difficulties to realize better external learning (didactics) encourages to adapt didactic, textual, linguistic thinking.

يقسم تمام حسان في مقدمة ترجمته لكتاب النص الخطاب والإجراء دراسة اللغة إلى دراسة متعلقة باللغة في حد ذاتها وأخرى متعلقة باستعمالها، غير أن النظريات اللغوية تؤسس وفقا لاعتبارات متعلقة باللغة في ذاتها بعيدا عن متعلقاتها ؛ مما أبقى الدرس اللغوي محصورا في البنى اللغوية ، في حين أن مجال الاستعمال والتكافل اللغوي مع القضايا الاجتماعية الواسعة التي تدخل اللغة في صلب تركيبها وكل ما هو أداء تفعيلي للغة لم يحض بالاهتمام الواسع إلا في العقود الأخيرة مع التفطن للجانب الثاني في الدرس اللغوي وهو جانب الاستعمال

وتعد الدراسات النصية النمط المعاصر الأوسع من الدراسات اللغوية الحديثة التي انتشرت على نطاق واسع، واستغلت في ميادين معرفية كثيرة أهمها التعليم؛ "فعندما نتأمل المسار الذي سلكته التعليمات بعامة وتعليمية اللغات بخاصة ندرك لا محالة أن سيرورة هذا المسار تتعزز في كل محطة من محطاتها الفاعلة بروافد مرجعية لعلوم ومعارف تلاقت وتقاطعت نظريا وإجراءيا لتشكل رؤية منهجية متكاملة، تتبدى ملاحظها في مرجعيتها النظرية التي تؤطرها وفي مفاهيمها واصطلاحاتها و في إجراءاتها التطبيقية¹

وإنه ليس من الهين أو الممكن أصلا تحصيل قدرة على التعليم إن لم نمر بمرحلة توصيف اللغة المراد تعليمها؛ فالقفز على الجانب التنظيري غير ممكن إذ "يصعب الوصول إلى التوجيه من دون وصف مناسب وإيضاح للغة"²

وتعد لذلك العملية التعليمية في حد ذاتها تحويلا دائما ومستمرًا للمعرف والعلوم في نطاقها المرجعي ، لان التعليم لا يعدو أن يكون اختزالا لأعمال العلماء وتناجهم التي حقوقها في حقول معرفية مختلفة ، ويكون هذا الاختزال واضحا خاصة في مرحلة ما قبل الجامعة ،فالتحويل يقتضي التدرج الذي يراعي القدرات العقلية لدى المتعلم حسب الفترات الحاسمة في نموه الزمني والعقلي " .³

لكن كيف يمكن لنا أن نستثمر بوعي علمي عميق الانجازات المعرفية والمنهجية المحققة في التجربة اللسانية لترقية تعليم اللغات ؟ وما هي الطرائق الناجعة التي يمكن اعتمادها لتوظيف المرتكزات اللسانية في الموقف التعليمي ؟ وما السبل المؤدية إلى إدماج حسن للمقاربات اللسانية في الميادين التعليمية ؟ لقد تعددت المشارب التي استقى منها النحو التقليدي نظرياته والتي يصعب انسجام بعضها مع بعض ، ومن هذه المشارب المنطق والفلسفة والبلاغة والأدب والنظريات الفردية للنحويين وحتى ما يمكن استيراده من نظم نحوية خاصة بلغات أخرى وغير ذلك مما يجزم الباحثون بان لا انسجام بينها ، فكانت النتيجة "اختلافا كبيرا بين المبادئ من حيث طبقت بصورة متناثرة أو لأغراض مختلفة"⁴

وأهم ما يمكن حصره عن أسباب فشل هذه النظم في إسداء النفع المرجو للمتعلم :

- غموض الأسباب التي بنيت عليها وعدم اطرادها .
- التركيز فيها على الممنوع من القول والكتابة .
- الانفصام بين الصورة المقننة للغة واستعمال الناس لها في حياتهم اليومية (إهمال جانب التفعيل اللغوي).

فنتج لقاء ذلك نفور من النحو التقليدي وتوجه الباحثون نحو قبلة أخرى أكثر دقة وانسجاما في نظمها مع العملية التعليمية، تستطيع تجنب الانسدادات التي عرفها التوجه السابق وذلك بالانتقال إلى :

- توحيد المرجعية الفكرية .
- التركيز على المطرد من اللغة.
- الاعتماد على لسانيات التفعيل اللغوي.

ولا يتسنى لنا مثل هذا إلا في لسانيات تتجاوز النظرة الافتراضية للنحو التقليدي والرؤية الضيقة المحدودة للسانيات الجمالية ، لان دراسة النظم المجردة للوحدات الصوتية والوحدات الصرفية وأنماط الجمل لا يمكن إلا أن تمدنا بفكرة ناقصة فقط عن العمليات اللغوية في حالات الاستعمال، ومع وجود الكثير من الخيارات في هذه المجموعات التجريدية لا نجد إلا بعضها ذا كفاءة في حال الاستعمال وذا اثر في إتمام المطلوب وملائما لمطالب النصية في موقف بعينه" ⁵. وتخطي مثل هذه العوائق يتجاوز الجملة على فضاء أرحب وأكثر تعلقا بالواقع وتلكم الخاصيتان تمثلان جوهر اللسانيات النصية إذ أن أبرز فكرة تتبناها اللسانيات النصية هي التحول من نطاق تحده الجملة إلى نطاق أوسع هو النص ، مما أهلها إلى أن تمثل نقلة نوعية في مجال الدراسات اللغوية، تحوّل معها اهتمام اللغويين عن الجملة التي مثّلت موضوع الأبحاث اللغوية منذ أقدم العصور، لينصبّ على النص، وذلك بعد الاقتناع بأنه الوحدة الأساسية التي تتحقق من خلالها الوظيفة التواصلية للغة.

وما لا يغيب على أحد " أن تعليمية اللغات في مسارها الإجرائي، ما فتئت تتخذ من المنجز بعامة والنص الأدبي بخاصة مرتكزا تعليميا يعكس

بصدق الشكل المكتوب من اللغة، إذ يعد النص من الروافد الأساسية لتعزيز فاعلية التبليغ والتحصيل"⁶. ذلك أن مباحث علم النص عملت على إبراز خصائص تحدد نصية النصوص "وإذا كانت الإجراءات والاستراتيجيات الفاعلة في أثناء إنتاج النصوص واستقبالها تخضع حقا لمعايير الجودة والفاعلية والملاءمة فلا بد عندئذ من أن يمتلك علم لغة النص من الطاقة ما يجعله قادرا على الإسهام في تعليم اللغة"⁷.

يتقاسم جون بول كولان، نفس وجهة النظر، فيقول: "يظهر أن اللسانيات النصية قد تكون في الطريق الصحيح لإعطاء أساتذة اللغات الحية الأسلحة الأزمنة أو بالأصح الوسائل الطرائقية والمفاتيح القيادية التي تسمح لمتعلمي الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية بالنجاح والتمكن من حيثيات الخطاب الفرنسي"⁸

« Il semble que la linguistique textuelle soit en bonne voie de donner aux enseignant de langues vivantes les armes nécessaires ou plutôt les instruments méthodologique, les pivots clef (.....) qui permettront aux apprenants du français langue étrangère de réussir à maitriser les moments et les mouvements du discours français

ويؤكد فان دايك هو الآخر على فاعلية علم النص وقوانينه في مجال تعليم وتعلم اللغات خاصة لانصباب مجاله على النص وقدرته على الإسهام في إبراز نظم وميكانيزمات تحليل وبناء النصوص على حد سواء وهو يرى أنه "لا يجب أن يفهم التلميذ جملا فقط بل يجب أن يتعلم أيضا على أي نحو تنتظم

المعلومات في نص أطول / في مقالة أو صحيفة مثلاً كما يمكن أن يتعلم هذه المهارة بشكل فعال ما أمكن ذلك كيف يلخص نصوصاً، تلخيصاً سليماً وصحيحاً، وأخيراً كيف تترابط الأبنية النصية مع الوظائف البراجماتية والاجتماعية للنصوص" ⁹.

إن الاستغلال التعليمي والتربوي للسانيات النص في مرحلة التعليم الثانوي من شأنه أن ينمي لدى التلميذ ملكة القراءة النشيطة وملكة الكتابة الإنتاجية ، ذلك إن هذا التناغم سيسمح له بتجاوز مستوى الجملة والنظر إلى النص من حيث شموليته وذلك عن طريق اكتشاف تناميته من نقطة الصفر إلى نقطته النهائية؛ أي بتحليل كيفية سريان المعلومة أو المعلومان فيه، أما على صعيد المكتوب فإن التلميذ عند إنتاجه لنصوصه سيولي الاهتمام لاتساق نصه هذا بالسهر على جعل الوحدات التي يكونه مترابطة لا خلل فيها ¹⁰

إن كون النص بنية مركبة تقوم على ما بين عناصرها من علاقات وروابط ، يتيح دراسة تلك الظاهرة اللغوية دراسة علمية والوصول بشأنها إلى حقائق وقوانين ثابتة نستعين بها في مجال التعليم. وذلك ما يؤكد ديوجراندي " هناك تكافل بين التربية وعلم النص وذلك أن اكتساب نوعي المعرفة الإنساني منها والعلمي لا يمكن أن يتم إلا بواسطة خطاب حسن التنظيم .حقاً إن قسطاً كبيراً من العمل في قياس فرع من فروع المعرفة يقع في نطاق المهارة في امتلاك ما يخصه من طريقة الخطاب ، وينبغي لعلم النص أن يهيئ معايير واضحة صالحة للتطبيق من أجل إنتاج النصوص المستعملة في التعلم" ¹¹.

أن فكرة لسانيات النص ستسهم إسهاماً مهماً في التفعيل اللغوي، غير أن تطبيقاتها في مجال تعليم اللغة من دون مراعاة الخصوصيات التعليمية التربوية إجحاف في حق المتعلم ذلك أن هناك فرقاً بينا بين تناول اللغة كغاية في حد

ذاتها بالوصف والتفسير والتعامل معها بذاتها ولذاتها ، هذا يختلف عما تتطلبه القواعد التعليمية التي تهدف إلى البحث في كيفية اكتساب اللغة و طرق استعمالها، والسعي إلى تطوير قدرات المتعلم على اكتسابها من خلال ممارسة موجهة ومدروسة ومقننة في ظل الممارسة العلمية الملائمة .الأکید أن الحقل المسموح به أو المادة المتاحة لعلم اللسانيات أوسع بكثير من ذلك المتوفر للمتعلم ، ذلك أن الجانب التداولي البراغماتي يراعى أكثر بالنسبة للمتعلم .

يمكن إظهار الاختلاف بين منطلقات اللسانيات التقليدية واللسانيات الحديثة على النحو التالي:

اللسانيات التقليدية تدعو إلى :

- الاهتمام بالظواهر اللغوية المنعزلة عن بعضها والمتقطعة الأوصال.
- الانطلاق من أصغر الوحدات اللغوية صعودا إلى أوسعها وأعلىها.
- اعتماد معيار تراكمي في محاولة لجمع القطع المبعثرة من المعلومات .

المنطلقات التعليمية لللسانيات الحديثة:

- الاهتمام بالظاهرة اللغوية في سياقها وبكلياتها.
- الانطلاق من الظاهرة ككل ثم التغلغل في جزئياتها ومتعلقاتها.
- الانتقال من النص في سياقه للتعرف على أصغر جزئياته. ثم إعادة بنائه من جديد.

بين النحو التقليدي (الجملي) ونحو النص:

يميز اللسانيون المعاصرون مجال اللسانيات النصية عن مجالات لغوية أخرى بالاعتماد على السمات والمعايير التالية:

تجاوز هذا المجال لنحو الجملة بنسقه الافتراضي ومعانيته لنسق

واقعي نابع من الاختيارات النحوية الافتراضية الأصلية

تخطيه لأحادية النسق المعرفي الخاص بقواعد الجملة، وارتباطه

بقواعد النص الذي تتنوع أنساقه المعرفية

. اختلافه عن نحو الجملة من حيث طبيعة القواعد.

. اعتماده في بناء النصوص المتنوعة على خبرات فعلية .

. ارتكازه على بنى نصية تتشكل من خلال ضوابط عملية الاتصال

التي تتخطى قواعد النسق الافتراضي لنحو الجملة .

العملية التعليمية المعتمدة على اللسانيات التقليدية تنتج صورة قائمة

ومشوشة تعتمد ومضات معرفة وشظايا نصوص، بعكس الصورة التي تترأى لنا

باعتماد اللسانيات النصية الحديثة التي تعطي صورة واضحة للاتصال في

عمومه نظرا لتفتح كل الفروع المتصلة باللغة على بعضها البعض. إذ إن فيها

دعوة إلى عدم الفصل بين التعليم وعملياته فالمعرفة تبنى ولا تنقل.

لقد اعتمد المنهج التقليدي على الحفظ والتلقين والاستظهار ، وذلك

بالنظر إلى تشبع المناهج الدراسية بالفكر السلوكي على الرغم من سقوط

السلوكية ؛ يرى دي بوجراند: مثل كثير من الباحثين أن التعليم التقليدي القائم

على التفكير السلوكي عقيم لأنه يسعى إلى خلق الكم المعرفي بالدرجة الأولى

ويُهمل القدرات والاختلافات البشرية، ويحد من عوامل الإبداع والأکید أن"

التربية تسير في الطريق الخطأ طالما زاد اهتمامها بالمعلومات الواقعية على

اهتمامها بالمعرفة العلائقية ، عندئذ يحشى ذهن المتعلم بطائفة من الحقائق

العرضية التي تستعصي على التوحد في نظام محكم ملتحم وعملي قوامه المعرفة بالعالم . وسرعان ما تنسى كل مجموعة من الحقائق السيئة الهضم بعد الامتحان مباشرة ، لأن الترتيب التنظيمي المطلوب من أجل التطبيق لا وجود له .¹² من حيث كون "الكثير من الجهد قد انصرف إلى اكتساب الجذور الاشتقاقية وتلاوة الحقائق المعرفية ، أين يحتل الاختبار والتقويم عالما قلقا يبدو كل شيء فيه إما صوابا وإما خطأ"¹³ . ولعل من أكبر عيوب التوجه التقليدي عند دي بوجراند اعتماده على معايير سطحية ، واعتمادها على "نظم افتراضية عاجزة عن فهم طبيعة النصوص النصية ... وكان هذا لعدم وجود فكرة ناجعة عن جانب التفعيل"¹⁴ .

أبرز ما جاءتنا به الدراسات الحديثة للنص هي وجوب تفعيله واستعماله في إطار تواصلية ، سواء تعلق الأمر بإنتاج النصوص أو فهمها؛ إذ لا تتحقق الكفاءة إلا في إطار تواصلية ، وبذلك تظهر أهمية كل من المتكلم والمتلقي بل والكون الخطابية ككل، وذلك ما يمكن تصوره في شكل ثلاث سلطات: المنتج والمتلقي والنص في حد ذات.

مواصفات النقلة من علم النص إلى العملية التعليمية¹⁵:

يتطلب الانتقال من الجانب النظري لعلم النص إلى جانبه التعليمي التعلّمي مصفاة تنقل محتويات ومضامين النظرية معتمدة على معايير تحقق التوازن بين الجانب المعنوي التصوري للنظرية والجانب التطبيقي لها ، معايير تُكيف النظرية مع الأجواء التعليمية تسمح بنقل المحتويات النظرية دون إحداث خلل. ولعل أبرز مواصفات هذه النقلة :

➤ القوة: ويتحقق ذلك بنائها على أسس علمية واضحة متصلة بالنظرية في حد ذاتها غير محورة ولا محولة. وينبغي لمفهوم القدرة

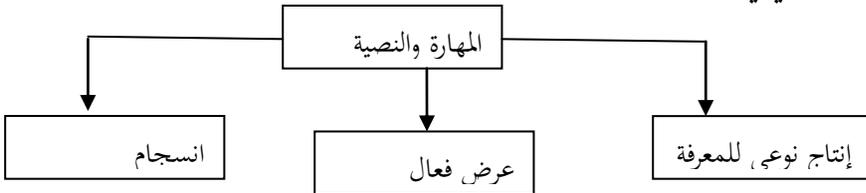
أن يحظى بنظرة أكثر اتساماً بالتكاملية مما يجري في العادة في قواعد الجملة ، فعلياً أن نبحت في تحديد القدرات التي تجعل الناس في العادة من أصحاب المقدرة على إنتاج النصوص وفهمها بنجاح دائم. وهذا النوع من نظرية النص سيكون ذا طابع ذهني، في معناه الأساسي وصالحاً من الناحية العملية للتصديق والتكذيب.

➤ مرنة: إن أية محاولة لقلوبة النظرية أو حصرها في قوالب جاهزة يمكنها أن تكسر أسسها وتبعدها عن هدفها الأساسي، لا بد إذن أن تكون آليات التحويل مرنة تراعي المادة التعليمية ومتعلقاتها وأطوارها ونوعية المتعلم...

➤ فاعلة: كثيرة هي التصورات التي لا يمكن أن ترى النور أو أن تتحقق على أرض الواقع وتظل حبيسة الأذهان التي تصورتها لأنها غير فاعلة ، لا بد من انتقاء معايير صالحة للتطبيق من أجل إنتاج نصوص تعليمية.

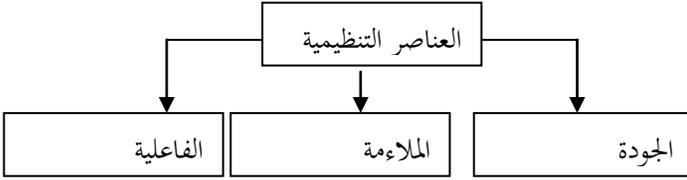
➤ ثم لا بد من تطبيق مجموعة من الضوابط لتحقيق المهارة النصية يحددها دي بوجراند في كتابه النص الخطاب والإجراء. نلخصها في المخطط التالي:

الضوابط التنظيمية:



وهناك ضوابط تنظيمية مهمتها ضبط الاتصال من خلال النصوص

هي:



➤ **الجودة:** تتحقق من خلال حسن استغلال أدوات الاتصال ، في محاولة لتحقيق أجود مردود وتحميل الاتصال أكبر طاقة إعلامية ممكنة "تنجم جودة الاتصال عن استغلاله في الاتصال مع تحقيق أكبر مردود.

➤ **الفاعلية:** يعرف دي بوجراند النص بأنه تجل لعمل إنساني ينوي به شخص أن ينتج نصا ويوجه السامعين به إلى أن يبنوا عليه علاقات من أنواع مختلفة ، ولا يتم هذا التوجيه إلا بتوفر عنصر القادر على التأثير في السامع من ثم إقناعه لتبني وجهة نظر معينة وبناء على ذلك ينظر إلى الفاعلية على أنها شدة وقع النص وتأثيره في المستقبل بحيث يتوفر عمق المعالجة ، الإسهام القوي في تحقيق الفاعلية.

➤ **الملاءمة:** النص سواء أكان مكتوبا أم منطوقا هو نتيجة لتفاعل وتضافر مجموعة من الآليات التي لا بد لها من خطة ونظام محكم يربطها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير النصية على النص المدروسه، و ما يحقق مبدأ الملاءمة. إن اعتماد مثل هذه المواصفات يسمح بنقل متزن لمرتكزات النظرية وعناصرها التنظيمية والقدرات المحققة لها إلى الجانب التعليمي.

➤ يتبين لنا من خلال ما سبق مفهوم جديد للمقاربة التعليمية أهم خصائصه:

➤ تثمين دور المتعلم في العملية التعليمية:

أنه يهتم باللغة وبالمتعلم في آن واحد، يمثل المتلقي في مجال لسانيات النص ذاتا متميزة تحمل تجربة خاصة ، مما يجعله عضوا مساهما في عملية بناء الرسالة التي يقدمها النص ن وبهذا تتحطم فكرة النص المغلق التي سادت في الفكر البنوي¹⁶ ؛ فهو ينظر إلى متعلم اللغة على اعتبار أنه كائن حي يقوم بأنشطة مختلفة منها العقلية والانفعالية والحركية ولا يمكن أن نفصل بين هذه الأنشطة وبعضها البعض، فعندما يتكلم الفرد باللغة فإنه بذلك يمارس نشاطاً حركياً يستدعي استعمال الأجهزة الصوتية، ولكنه في نفس الوقت يفكر فيما يقول، كما أنه يفعل بما يقول ويضمه أحاسيسه وانفعالاته، كما أن هذا المفهوم يرى أنه يجب أن تتكامل خبرات المنهج بحيث لا يطغى جانب من تعلم اللغة على بقية الجوانب، فإذا اقتصرنا على الاستماع دون الكلام، أو القراءة دون الكتابة فإن ذلك يؤدي إلى قصور والانفعالية والحركية ولا يمكن أن نفصل بين هذه الأنشطة وبعضها البعض، فعندما يتكلم الفرد باللغة في تعلم اللغة، ومن هنا ينبغي أن تتكامل خبرات منهج تعليم اللغة لتؤدي إلى استعمال اللغة استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة.

➤ النص دعامة محورية في تعليم اللغة:

لا يتم التحصيل العلمي المعروف بصورة جيدة إلا من خلال النصوص، وأن الاهتمام بدراسة النصوص المكتوبة و الشفهية ينبع من إدراك حقيقة "كون دراسة الجملة باعتبارها أكبر الوحدات اللغوية تعقيدا ، لا يكفي لفهم وشرح طريقة استخدام اللغة ، أي الكلام ؛ التواصل

الكلامي بين الناس يجري في العادة عن طريق النصوص؛ إذ حتى لو تم الحديث الكلامي باستخدام الجملة الواحدة فإنها في سياقها المقامي ستعتبر نصا .

التدريس عبر استعمال نصوص متكاملة يسهم في تحقيق الكفاءة النصية ويزيد من نجاح المشروع التربوي، يرى دي بوجراند أن: " نشاط استعمال النصوص هو مركز هذا المشروع التربوي . ذلك أن الإنتاج والاستقبال للنصوص ذات الكفاءة والتأثير والمناسبة يتطلبان كل القدرات العقلية ... ومن هنا تمنحنا العلوم المبنية على اللغة مجالا محوريا يمكن به للنمو العقلي أن ينسق من خلال مناهج دراسية ."¹⁷ ومن هنا يتضح لنا الدور الجوهرى الحاسم الذي يقوم به النص في العملية التواصلية.

ويمكن الوقوف على اتجاهات ثلاث لتعامل مع النص:

● الاتجاه الأول يركز على كون النص متواليه

من الجمل.

● الثاني؛ يؤكد على المنحى الإنجازي للغة

باعتبار النص إنجازا واقعيا لحدث لغوي .

● الثالث. يتعامل مع النص بوصفه علامة

كلية أو كتلة واحدة .

التركيز على كلية النص:

النص كما أسلفنا يمثل محور العملية التعليمية ، ولا يتم التحصيل العلمي بصورة جيدة إلا من خلال نصوص حسنة التنظيم، ذلك أن المعلومات التي ترد في مقاطع نصية مفككة ومبعثرة تجعل التحكم مضطربا وشاقا. ويرى د. أحمد المتوكل أن النص لا يمكن أن

يكون جملا متناثرة وغير مرتبطة بل يجب أن يكون مجموعة منتظمة ومرتبطة و متماسكة تؤدي دلالة حتى نسميها نصا وقد تكون الجمل المكونة للنص جملا بسيطة أو جملا معقدة أو جملا من الفئتين معا وليس كل مجموعة من الجمل نصا؛ إذ لا يقوم النص إلا إذا ربطت بين وحداته علاقات اتساق بعبارة أخرى لا تشكل مجموعة من الجمل نصا إلا إذا كانت تكون خطابا أي وحدة تواصلية ذات موضوع وغرض معين وضمن هذا المنحى أضحت الأنشطة مثل القواعد والبلاغة والعروض والنقد التي كانت تدرس مستقلة ، مرتبطة بالنص الأدبي تنطلق منه وإليه تعود.....¹⁸

التركيز على النمطية النصية: يعتمد كل نص على نمط معين في بنائه، يتناسب هذا النمط والموضوع المبتغى والهدف المنشود من كل نص ، وتعدد الأنماط بتعدد الأغراض ، تنميط المتعلم للنصوص ، وتمييزه لمؤشراتها في كل فن من الفنون النثرية أو الشعرية، يسهم في امتلاكه لقدرة على تأليف النصوص .

إن الفائدة البيداغوجية التي يمكن أن نجنيها من معرفة خصائص كل نوع من أنواع النصوص، هي أن التلميذ إذا استوعب ميكانزمات نوع معين من خلال تعامله مع نماذج عديدة منه، فإنه يكتسب كفاية ومهارة نصية تيسر له التعامل مع أي نص آخر، بحيث يصبح بإمكانه تكهن أو توقع أشياء في النص قبل الوصول إليها.

التركيز على السياقات الدلالية وارتباطها:

إن وظيفة كل من المرسل والمتلقي - طرفا معادلة الاتصال - هي فهم النص وإعادة بنائه أيضا ، فالنص بنية منفتحة على سياقاتها التواصلية يُعد بحث

العلاقات السياقية من المرتكزات المهمة في الكشف عن طرق البناء النصي . .
انشغل عدد كبير من الباحثين في علم اللغة النصي أو لسانيات النص، في
بحث أدوات بناء النص، وأتساقه وانسجامه، منهم: فان ديك، وروبرت دي
بوجراند، ودرسلر، وبتوفي، إذ حاولوا جميعًا الكشف عن العلاقات النصية؛
لأنها هي التي تدعم البنية النصية، التي تقوم على التماسك والانسجام؛ نظراً
لأهميتها في تحقيق ما اصطالحوا على تسميته "بالكفاءة النصية".

إن العلاقات السياقية هي الأساس في عملية بناء النص، فهي محور
النص، وبدونها يظهر النص على أنه مقاطع صوتية غير مفهومة، ونتيجة
للبحث والتحليل؛ فإنها تقوم بالوظائف التالية:

أ. إنتاج نص متماسك؛ لأنها تعطي النص سمة المقبولية الصحيحة، وما
دام النص قد حصل على المقبولية من قبل المستقبل، فإن هذا يضمن - كما
سبق ذكره - نجاح عملية الاتصال اللغوي، وذلك لتحقيق معايير النصية، أو
الكفاءة النصية.

ب. تجعل النص شبكة نسيجية من الصعب فك عراها؛ لأنها تعزّز
مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية التي تتربط فيما بينها
لتشكّل النص؛ وذلك على اعتبار أن النص هو "نسيج من الكلمات يتربط
بعضها مع بعض"¹⁹.

ج - إنّ الفعل النسيجي الذي تقوم به هذه العلاقات يعزّز المنحى
التداولي النصّي، ويؤدي إلى نجاحه واستمراره، فالحديث عن العلاقات السياقية
ليس حديثاً عن علاقة لفظة بأخرى داخل الجملة، وإنما علاقة جملة بأخرى،
ومعلوم أن مستخدم اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجملة، وإنما يكون
على أساس النصوص²⁰.

كما أنّ وجود المكوّن التداولي إضافة إلى المكوّنين النحوي والدلالي، سيؤدي إلى تحديد مدى مناسبة الجمل والخطاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلاً، وهذا كلّ في النهاية يؤدي إلى التأثير الإيجابي في نفسية المستقبل، ممّا يجعله يتفاعل مع النص ويستمر.

د. تعمل العلاقات السياقية على تحقيق الفهم الصحيح للنص، وتنظيم أفكاره، وتتابعاته الدلالية المختلفة؛ نظراً لما توفره من السبب القائم على الإحالة، والحذف، والاستبدال، والربط، والاتساق المعجمي أو الانسجام المعجمي، وهذا من شأنه أن يجعل الأجزاء النصية تقوم بوظائفها الحقيقية ضمن كلّ مرحلة من المراحل المنجزة؛ لذا فإنّ دراسة العلاقات السياقية تعني الكشف عن الأدوات التي تمكّن المرء من اكتشاف طرق بناء النص، ولمّ يكون هذا النصّ ناجحاً وذاك غير ناجح؟ ولمّ يؤثر هنا النص في الإنسان فيدفعه إلى التواصل؟ ولمّ لا يؤثر ذلك النص ويدفع الإنسان إلى الملل؟ باختصار، إن دراسة هذه العلاقات هي دراسة لطرق بناء النص، ودراسة لأدوات اتّساقه وانسجامه.

يعمل الخطاب العملي التداولي على تفعيل الأنظمة اللغوية وغير اللغوية ثم إن فكرة اللسانيات التطبيقية ستسهم إسهاماً مهماً في التفعيل اللغوي، لان دراسة النظم المجردة للوحدات الصوتية والوحدات الصرفية وأنماط الجمل لا يمكن إلا أن تمدنا بفكرة ناقصة فقط عن العمليات اللغوية في حالات الاستعمال"²¹. يصبح النص المدرّس عبارة عن جنين ينمو باستمرار خلال مراحل تكوين الخطاب أي منذ البداية وحتى النهاية إنه يتحرك على مستوى الانجاز ضمن نسق جمالي وفكري وفني مستند إلى حرية المتكلم في تنميطاته المتنوعة الحالات"²²

ونتيجة لما وجه لهذا المفهوم القاصر لمنهج تعليم اللغة اتجه العاملون في هذا الميدان إلى التفكير في مفهوم واسع وفعال للمنهج يرى أن تعلم اللغة لا يتم إلا من خلال مواقف لغوية طبيعية حياتية اتصالية يمارس المتعلم من خلالها اللغة ممارسة طبيعية، لذلك رأوا أن المنهج يعني مجموعة من المواقف والخبرات اللغوية والأنشطة الاتصالية التي تُهيئاً وتعد وتختار وتخطط وتنظم لكي يعايشها متعلم اللغة. ودراستها ويتمرس بها ليصبح قادراً على استخدام اللغة استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة.

تنطلق هذه الفكرة من أن التعليم لا يتم إلا من خلال مواقف لغوية طبيعية حياتية اتصالية يمارس المعلم من خلالها ممارسة طبيعة ، من خلال محاكاة مواقف حياتية تماثل الواقع المعيش الذي قد يصادف المتعلم خارج أسوار الفصول الدراسية لذلك كان لزاماً على المختصين الانتقال من كفاءة لغوية تحدها حدود النص إلى كفاءة اتصالية يمكنها محاكاة مواقف حياتية .



يلخص الأستاذ رشيد أحمد طعيمة بناء على ما سبق على مجموعة من الأخطاء التي يقع فيها المنهاج نتيجة لاعتماده على الكفاءة اللغوية فحسب:

- 1- .- اهتمام العديد من المناهج الحالية باللغة ذاتها من حيث ما يدور حولها من معلومات ومعارف، وقصور الاهتمام بتعليم استعمالها وممارستها.
- 2 . الاعتماد على المعلم كملقن للغة وليس مهياً لمواقف لغوية يتيح الفرصة للمتعلم لاستعمال اللغة استعمالاً حقيقياً.
3. الاعتماد على مادة الكتاب المؤلف لتعليم اللغة دون أن يصحب هذا الكتاب أنشطة لغوية معملية، أو ممارسة عملية للغة في مواقف حية وطبيعية.
4. اعتماد العديد من كتب تعليم اللغة العربية المطروحة في الميدان على مداخل تقليدية في تعليم اللغة متأثرة بتعليمها لأبنائها، ومستندة إلى نصوص صعبة أو غير شائقة
- أو غير عصرية، وعلى موضوعات تقليدية بعيدة عن مواقف الاتصال اللغوي الشائعة في حياة الدارسين.
5. الاهتمام بحفظ الطالب لما يوجد بالكتب من كلمات وجمل وتراكيب دون الاهتمام بتوظيف هذه الجوانب في مواقف لغوية جديدة.
6. الافتقار إلى تخطيط منهجي لتعليم اللغة العربية يأخذ في اعتباره الجوانب الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية للغة، كما يأخذ في اعتباره المحتوى الثقافي والمعالجة التربوية. سها ويتمرس بها ليصبح قادراً على استخدام اللغة استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة.²³

النتائج:

الاعتماد على مدخلات نصية في الوسط التعليمي التعليمي فرض نفسه في ظل عجز وإخفاق النظم التعليمية التقليدية عن تجاوز الحدود

الافتراضية للجملة، وتركيزها على النحو الذي أثقلت به كاهل المتعلمين، وشغلهم به بدلا عن التركيز عن الأهم وهو الممارسة الفعلية للغة. الممارسة النصية تضع النص في قلب العملية التعليمية، ويثمن دور المتعلم، ويتخذ من الواقع الفعلي للتجربة الإنسانية مصدرا للممارسات اللغوية، بوصفها انجازا واقعيا فعليا .

الهوامش:

- ¹ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، كلية الدراسات الاسلامية والعربية سلسلة الكتاب الجامعي دبي 2013، ص 15.
- ² دي بوجراند، النص الخطاب والاجراء، ص 560
- ³ أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 29.
- ⁴ دي بوجراند النص الخطاب والاجراء. 560.
- ⁵ السابق ص 561.
- ⁶ أحمد حساني مباحث في اللسانيات، ص 21.
- ⁷ إلهام ابو غزالة وآخرون، علم لغة النص، ص 268.
- ⁸ Herber Ruk, Préface du traducteur, in « linguistique textuelle et enseignement du Français », 1980
- ⁹ فان دايك علم النص، ص 334.
- ¹⁰ محمد مجياتن، تحليل النص الأدبي، في التعليم الثانوي، ملاحظات اولية، مجلة اللغة والادب، جامعة الجزائر، ع 12، ص 424، 425.
- ¹¹ دي بوجراند، النص الخطاب والاجراء، 558.
- ¹² دي بوجراند، النص الخطاب والاجراء، ص 555.
- ¹³ المرجع نفسه، ص 554.
- ¹⁴ المرجع نفسه ص 564.
- ¹⁵ / بوعمراني نسرين، آليات تحويل النظرية النصية إلى مقارنة تعليمية في تعليم اللغة العربية للمرحلة الثانوية بالمدرسة الجزائرية، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجستير تخصص تعليمية اللغة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، 2011، 2010. ص 69 وما بعدها. ينظر أيضا النص الخطاب والاجراء.

¹⁶ / عبد الجليل غزالة، لسانيات النص والمتلقي، مجلة نزوى، عن مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلام، ع2009، 56، ص36.

¹⁷ /دي بوجراند، النص الخطاب والاجراء، 557.

¹⁸ / أحمد المتوكل، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، مصر د ت ص 82.

¹⁹ / لأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص30.

²⁰ / البحيري، علم لغة النص، ص 12.

²¹ /دي بوجراند، ص562.

²² / عبد الجليل غزالة، لسانيات النص والمتلقي، ص35.

²³ /رشيد أحمد طعيمة، أحمد الناقة، تعليم اللغة اتصاليا، بين المناهج

والاستراتيجيات، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة، الرباط، 2006. ص16.